ما شا فما لم ينزل عليه فيه وحي والله اعلم واما قوله تعالى في اسارى بدر ما كان لنبي ان
تكون له اسرى الاية فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص
به وفضل على غيره من بين ساير الانبيا فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه الصلاة
والسلام احلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي فان قلت فما تاويل تريدون عرض الدنيا الاية
قلت حمله على انه خطاب لمن اراد ذلك من اصحابه صلى الله عليه وسلم وتجرد غرضه
لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها لا للنبي صلى الله عليه وسلم ولا لوجوه اصحابه
فان قلت فما معنى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم قلت
روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس عن
القتال بالسلب وجمع الغنايم حتى ان عمر رضي الله عنه خشي ان يعطف عليهم العدو
ولم يكن نزل عليه صلى الله عليه وسلم تبرا ذكر حل الغنايم ولا بلغه لاصحابه عن ربه
ولا اباحة اسرا العدو والكافر اذا علمت هذا فاعلم ان المفسرين اختلفوا في معنى هذه
الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم
بالاقدام على هذا الفعل من غير اذن شرعي وهذا ينفي ان يكون اسر الاسرى
معصية لما مر وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به
الصفح لعوقبتم على الغنايم اي لولا ما كنتم مؤمنين بالقران وكنتم ممن احلت لكم
الغنايم في علمنا لعوقبتم كما عوقب من تعدى قبلكم وقيل المراد بالكتاب الذي
سبق اللوح المحفوظ اي لولا ما سبق اثباته في اللوح المحفوظ المطابق لعلم الله
تعالى ان الغنايم حلال لكم لعوقبتم وهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل
ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا قلت وفيه ان الاقدام
على فعل قبل معرفة حكم الله تعالى فيه من اباحة وغيرها ذنب ثم روي عن علي
رضي الله عنه انه قال جا جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم
بدر فقال له خير اصحابك في الاسارى ان شاوا القتل وان شاوا الفدا على ان
يقتل منهم في العام المقبل مثلهم فقالوا الفدا ويقتل منا ذلك فتقوى بما نستعين شلهم ع
به على القتال ونظفر بالشهادة وعلى هذا ينتفي اثم الاقدام دون اذن اذ انما
فعلوا الا بالاذن لهم فيه غايته ان بعضهم قدم اختيار اضعف الوجهين على
ما كان الاصلح لهم غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم
وتصويب اختيار غيرهم وان كانوا كلهم غير عصاة ولا مذنبين والى هذا نحى الطبري
فان قلت فبعد هذا الحمل ما ورد انه عليه الصلاة والسلام حين نزول هذه الاية
قال لو نزل من السما عذاب ما نجا منه الا عمر وهذا صريح في انهم استوجبوا
العذاب قلت ليس في هذا ازيد من الاشارة الى تصويب رايه ورأي من اخذ
بما اخذه فانه كان احرص الناس الى اعزاز الدين واظهار نصرة المسلمين واهلاك

الامر

روس الضلال من المشركين فالمعنى لو استوجبت هذه القضية عذابا لما نجا منه اولا
الا عمر ومن كان معه على رايه وانما عين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله
لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحلته لهم فيما سبق على ان الداودي انكر ثبوت الخبر بذلك
اذ من الممتنع قلت ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص
ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك وانما فعله عن تاويل وبصيرة وقد
تقدم مثل هذه الوقعة بنحو عام انهم فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل
فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم ولكن الله
تعالى اراد ان يمتن عليهم لعظم امر بدر وكثرة اسراها باظهار نعمته واعزاز كلمته فوقهم
ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار ولا مواخذة وتذنيب
واما قوله تعالى عبس وتولى الايات فليس فيه تصريح باثبات ذنب له عليه
الصلاة والسلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وانه كان الصواب
والاولى لو كشف لك حال الرجلين الاعمى والكافر الذي كنت مقبلا على تحديثه تاليفا
له ودعاية الى الاسلام من صناديد قريش وعظمايهم ما كرهت قطع ابن ام مكتوم
الاعمى تحديثك ذلك الكافر بتكريسه عليك يا محمد علمني مما علمك الله تعالى
ولا اخترت الاقبال على الاعمى فظهر من هذا ان فعله صلى الله عليه وسلم ذلك
وتصديه لذاك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله
تعالى لا معصية ومخالفة له وان ما قصه الله عليه من ذلك انما هو اعلام بحال الرجلين
في الواقع وتوهين لامر الكافر عنده وارشاد الى الاعراض عنه حيث قال وما عليك
الا يزكى فان قلت فقد روي انه صلى الله عليه وسلم كان يكرم ابن ام مكتوم
ويقول اذا راه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي قلت اما عند من جوز اطلاق العتاب
في حقه صلى الله عليه وسلم فلا اشكال واما عند من منع ذلك فلا نسلم صحة ذلك
المروي سلمناها لكنه تجوز فاطلق لفظ العتاب على ما يشبهه وروده ادبا وطريقه
على ان ابا تمام جعل ضمير عبس وتولى للكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعليه فلا تحتاج الاية الى الجواب عنها البتة واما قصة ادم عليه الصلاة والسلام المتشابه
له ذكر انه عصى وغوى وازله الشيطان وخالف النهي عن اكل الشجرة واعترف بظلمه
نفسه وعوتب قولا مثل الم انهكما عن تلكما الشجرة وفعلا بنزع اللباس والاخراج
من الجنة ثم تاب الله عليه واجتباه فتمسك به على ان المراد المعصية والغواية
والزلة ومخالفة النهي والظلم المغفورات اعني مجرد وقوع صورة المخالفة وترك
المراشد سواء كان ذلك عن عمد او نسيان او تاويل لا الشرعيات فانه كان قبل البعثة
بدليل ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى اذ الاجتبا هو اختيار للنبوة كنى ولم
يكن له في الجنة امة يرسل اليهم ولا ارسالا الى الواحد كحوى غير معهود وانه كان عن